

المقدمة

كتبت هذا الكتاب في ضوء اختباراتي للوسط المصري وقد
عالجت موضوعه من جملة وجهات فلسفية وسيكلوجية واجتماعية
ونحن نعيش في حضارتنا القائمة عيشاً مكيفاً بعادات المجتمع
موجهاً إلى أهدافه مدرباً على أساليبه . ولذلك نفساق انسياقاً كأننا
ذاهلون لا نقف ونسائل عن القيم البشرية في هذه العادات والأهداف
والأساليب .

وليس شك أن غاية الحياة أن نحى الحياة على مستواها السامى .
ومعنى هذا الكلام هو أن نعيش بما لدينا من كفاءات بشرية تسمو
على كفاءات الحيوان . أى يجب أن نعيش بالوجدان والتعقل وليس
بالغريزة والعاطفة . وفن الحياة هو فى النهاية الارتفاع بكفاءاتنا
لموروثة إلى ما كسبناه واقتنينا من التراث الاجتماعى الثقافى .
ولكن هذا التراث الاجتماعى الثقافى يجب ألا يسوقنا والا

يضلنا عن القيم الأصلية في الحياة . وقد التفت في الفصول التالية إلى ثلاثة أو أربعة أشياء لكل منها مكانة مركزية في البحث عن فن الحياة .

التفت أولاً إلى أن النجاح يجب أن يكون كلياً في الحياة وليس في الحرفة أو الزواج أو الكسب . فان كلمة النجاح في مجتمعنا الاقتراني كثيراً ما يشتبه معناها بمعنى الاثراء . ولكن الناجح الصادق هو الذي يجعل نجاحه شاملاً متوافقاً لنشاط حياته كلها .

والتفت ثانياً إلى أن المجتمع الذي نعيش فيه كثيراً ما يضل بنا ويبعدنا عن القيم البشرية . بل هو أحياناً يستخرنا في أهدافه التي قد تناقض ما نشهد من رقي أو سعادة . فهو منا بمثابة المدينة التي تسكنها بمساكنها وأصواتها الصناعية وضوضائها واهتماماتها الزائفة فتعيش فيها ونكاد نفسي أنه على مسافة ثلاثة أميال منا ينهض الريف في طبيعته النظرة وأشجاره ومياهه وحيوانه . وقد نألف عادات هذا المجتمع فلا نجد النشاط إلى تغييرها ولا نهض إلى الخروج إلى هذا الريف القريب . وكذلك الشأن في تلك القيم الاجتماعية وأثرها في نفوسنا حين نعيش في أسر هذه القيم الزائفة مدى حياتنا .

وقد احتجت إلى أن أوضح أن السعادة كما يشهدها الجمهور إنما هي في أغلب الأحيان ذهول وتبلد أو استرسال في العواطف الحيوانية التي تحركها غرائزها السفلى . وإن هذه السعادة ليست جذيرة بانسان راق يرتفع إلى أن يجعل من حياته فناً . وعندى أن

الوجدان أى التعقل هو صميم السعادة . وأنه مهما فدحت الكوارث
فان الوجدان يواجهها فى شجاعة وتحدٍ وفهم .

كذلك التفت إلى قيده الثقافة من حيث أنها تكفل لنا توسعاً
ذهنياً ينتهى إلى أن يكون توسعاً حيويًا . لأنها أى الثقافة ، تزيد اهتمامتنا
وتعودنا عادات إيجابية عندما نصل إلى الشيخوخة . وعلى القارىء
أن يقرأ كتابي الآخر « كيف نسوس حياتنا بعد الخمسين » . فاني
هنا أكدت النبرة فى هذا المعنى أى القيمة من الدراسة والثقافة
للشيخوخة السعيدة .

وكان يمكن أن أسمى هذا الكتاب « الحياة السعيدة » ، لولا أن
كلمة السعادة قد ابتدلت فى معانٍ سلبية . كما أن هناك القياسات
واشتباهاات كثيرة عن حقيقة معناها . وقد احتجت إلى التنبيه عن
ذلك . ولكن فى عبارة « فن الحياة » ما يرفع القارىء عن مبتذلات
كلمة « السعادة » .

وأرجو أن يكون فى الفصول التالية توجيه لقراءتها من الشباب
والكهول .

سلام موسى